

# وقفة سوسيو لسانية<sup>(1)</sup> في واقعة الطف

دراسة في ضوء

علم اللغة الاجتماعيّ

م.د. نعمة دهش فرحان

كلية التربية- ابن رشد

جامعة بغداد

## خلاصة البحث

جسدت لغة الحسين (عليه السلام) المجتمع الذي قيلت فيه، إذ تضمنت التراث الثقافي التي اختزلها ذهن الحسين (عليه السلام) بما فيه من مجتمعات صالحة وحركات مصلحة جرت عبر أمكنة و أزمنة متتالية، هذه اللغة التي تمثل صرخات

---

<sup>1</sup> يعني مصطلح: (سوسيو لسانيات) اللسانيات الاجتماعية ، وتستعمل في دول المغرب العربي بدلاً من مصطلح علم اللغة الاجتماعيّ .

مدوية على الظلم و تنبأ بما سيؤول إليه المجتمع، فقد كان المجتمع متحركاً ساخناً، يتشابه فيه الأفراد من حيث النوع والماهية؛ لكنهم مختلفون تمام الاختلاف من حيث المبادئ و الإيديولوجية والأخلاق والأهداف والغايات .

تميز الخطاب الحسيني بوضوح التعبير لفتح مغاليق عقول المتلقين وسماع كلماته (عليه السلام)، فاهتدى من اهتدى وضل من ضل، عبر مراحل من الزمن؛ لأن لغة المجتمع هي الأقرب إلى قلبه وعقله، إذ لم يمارس الإمام (عليه السلام) سلطته الشرعية على المتلقي، وكأنه يخاطب المجتمعات الديمقراطية الحديثة، إذ لم تعتمد خطبته (عليه السلام) على الإكراه بالدرجة الأولى، بل على الإقناع والتأثير اللذين باتا من العناصر الحاسمة في إيصال الخطاب لفئات المجتمع كافة، وهو نوع من السياسات اللغوية التي امتاز بها الخطاب الحسيني، إذ لاشك أن فكرة الهيمنة عبر آلية الإقناع تحقق إجماعاً مع التعدد الشكلي والعقدي داخل المجتمع، وهو ما يعرف في اللسانيات الحديثة بـ(الهيمنة الناعمة). وفي ذلك مقارنة مع نظرية ماير (المسألة والبلاغة) من مضامين خطب الإمام (عليه السلام)، إذ استطاع (ماير) اعتماداً على منطلقات فكرية معرفية، ومرتكزات أساسية فلسفية أن يؤسس منهجاً تساؤلياً يقوم على مبدئين هما : المبدأ الافتراضي في تحليل الأقوال ومبدأ الاختلاف الإشكالي داخل الأقوال. استعمل الإمام (عليه السلام) المبدأ الحجاجي (النموذج والنموذج المضاد) وسيلة عن حجة السلوك، بوصفه قدوة تستوحى من الأشخاص أو الجماعات أو الأفكار أو المذاهب، وتؤكد قيمة الأفعال، استعمل الإمام الحسين (عليه السلام) التمثيل ANALCIE طريقة حجاجية تلو فيمنها على مفهوم المشابهة المستهلك .

( بمجملها لم نجد الحرب هدفاً عنده، إنما الاجتماع والتعاون (عليه السلام) لو تأملنا الجانب السياسي في خطب الإمام ) والتعايش السلمي هو الهدف، والدفاع عن الدين وشرعيته ليست دعوة إلى الحرب وتأجيج نارها، إنما هي إصلاح واقع الهيكل الاجتماعي، شكّل الصراع الأيدلوجي بين مبدع النصّ ومتلقيه مفاهيم الذوات في المسرح الاجتماعي، إذ مثل هذا الصراع جوهر القضية، بتراكيب لغوية تسعى الأيدلوجيات المتصارعة إلى سدّ الفجوة بين الإدراك الاجتماعي والإدراك الشخصي، فالحسين أمة كاملة وإن كان شخصاً واحداً، فقد تحدث بالضمير الجمعي لفئة الموحدين والمصلحين مستعملاً فن الخطابة وسيلة إعلامية؛ لأنها الوسيلة الأنجح للتعبير الموضوعي عن عقيدة الفئة المؤمنة واتجاهاتها .

والحمد لله رب العالمين

## A Linguistic Stop in Al-Taff Battle

Lec.Ass. Neama Dahash Farhan  
College Education\ Ibn Rushd – Baghdad University  
Abstract

The language of Imam Al-Hussein (PBUH) manifest the society in which it was said. It included the cultural heritage shortened by Imam Al-Hussein's mind, including those good societies and movement that happened throughout ages and places. This language represent a loud cry against injustice, and a prediction to what the society is going to be. The society was heated in which people and similar in terms of type and being, but, different in terms of principles, ideology, ethics, objectives and goals.

The study concludes that what distinguishes the speech of Imam Al-Hussein (PBUH) was clarity of expressions, to open the minds of the receiver and listening to his words. Those who were guided, and those who were misled. Because the language of society is the closer to one's heart and mind, Imam Al-Hussein (PBUH) did not practiced his jurisdiction. He was addressing the modern democratic societies. Undoubtedly, the idea of dominion across modern cultures in the form and doctrinal. That is what is known as Soft Domination in modern linguistics. It is the approach with Mayer's theory the Issue and Rhetoric's. Mayer managed to depend on the cognitive points in analyzing the context of two principles: the dialectic – the model and counter model, as a means of affirming the value, as a means of plea since he is a model to be followed by peoples and groups or ideas and doctrines. Imam Al-Hussein (PBUH) used analice as a dialectic method.

If we mediate the political aspect in the speeches of Imam Al-Hussein (PBUH) in total, we do not find war as a target, but meeting and association is the target, and defend religion and its legality not a call for war and inflaming it, it is a reformation of the social structure. The ideological struggle between the creator of text and the recipient of social theatre the struggle formed the essence of the issue. Imam Al-Hussein (PBUH) is a whole nation even though he was one person. He spoke in the plural pronoun "we" of all the reformers using speech art as a means of media.

#### تمهيد :

(: " الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ " <sup>(2)</sup>، وكما قيل **يَدُلُّ الْكَلَامُ عَلَى وَزْنِ الْمَتَكَلِّمِ وَشَخْصِيَّتِهِ** كما قال أمير المؤمنين علي في المثل: "الرجال مخابر وليس بمناظر"، تلك قاعدة اجتماعية عامة، فالأثر يدلُّ على المؤثر دائماً، فإذا أدركنا هذه الحقيقة، ( وأهدافه وغاياته الاجتماعية من ثورته على الظلم في واقعة الطف، في ضوء ما **يَدُلُّ الْكَلَامُ** أدركنا عمق شخصية الإمام الحسين ) من خطب وكلمات تضمنت أحداثاً كلامية عبر سلسلة من الأحداث الاجتماعية والوقائع التاريخية التي مرَّ بها **يَدُلُّ الْكَلَامُ** قاله ) معها وقفات في منتهى الدقة وغاية الوعي، في مجتمع تخللته أمواج متدافقة، وتيارات **يَدُلُّ الْكَلَامُ** المجتمع المسلم، كان للحسين ) متدافعة، وعقائد متصارعة، مثَّلت المحك الأساسي لحركة التاريخ .

تمثل اللغة أداة التواصل بين الأفراد، وهي سبب إحساسهم بالانتماء لمجتمع ما، فاللغة ظاهرة اجتماعية، لا يستطيع فرد من الأفراد أو أفراد معينون أن يضعوها، وإنما يكونها المجتمع، وما تقتضيه حياة أفرادها من تعبير عن الخواطر، وتبادل للأفكار، لذا عبر فندريس عنها بقوله: " في أحضان المجتمع تكونت اللغة ووجدت يوم أحسَّ الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم " <sup>(3)</sup>.

<sup>2</sup> نهج البلاغة، حكمة/١٤٨، ص/٤٩٨، منتدى الإيمان، مركز الإشعاع الإسلامي، شبكة الانترنت.

<sup>3</sup> اللغة ، فندريس ، ترجمة: الدوخلي والقصاص ، القاهرة ، ١٩٥٠م ، ص/٣٥ .

في مجتمعٍ يجد بين فاللغة تؤلف موضوعًا من موضوعات علم الاجتماع، وربما كانت أكثرها أهمية؛ لأنَّ كلَّ فردٍ ينشأ  
يديه نظامًا لغويًا يسير عليه مجتمعه، فيتلقاه عنه تلقياً بالمحاكاة والتعلم، مثلما يتلقى عنه سائر النظم الاجتماعية الأخرى  
التي لا غنى لها عن اللغة<sup>(4)</sup>.

هكذا تبقى اللغة هي البداية وهي النهاية، وما بين البداية والنهاية تبقى اللغة قوة اجتماعية فعالة وأداة مسيطرة على  
حياة البشر، إنَّها تصل الإنسان بأخيه الإنسان، وتكوّن المجتمعات وتبني الحضارات، وهي بهذا الوصل وذلك التكوين والبناء  
تميز الإنسان من سائر المخلوقات، فهو ناطق بطبعه.

لقد نبّه العالم اللغوي الاجتماعي (دور كايم) في أوائل القرن العشرين على أنَّ الظاهرة اللغوية صنو الظاهرة  
الاجتماعية، يمكن أن تُرصد وتُلاحظ كما يلحظ عالم الطبيعة (الشيء) ويتخذ موضوعاً لدراسته<sup>(5)</sup>، لذا ظهر علم اللغة  
الاجتماعي فرعاً مهماً من فروع علم اللغة العام، ينتمي إلى القسم التطبيقي منه، يهتم بدراسة اللغة وعلاقتها بالمجتمع، فهو  
ينظم كلَّ جوانب اللغة وطرائق استعمالها، التي ترتبط بوظائفها الاجتماعية والثقافية أو العلم الذي يبحث عن الكيفية التي  
تتفاعل بها اللغة مع المجتمع، فهو ينظر في التغيرات التي تطرأ على بنية الكلمة استجابة لوظائفها الاجتماعية المختلفة،  
مع بيان هذه الوظائف وتحديدها.

( بما فيه اللغة) المجتمع الذي قيلت فيه، إذ تضمنت التراث الثقافي التي اختزلها ذهن الحسين (عليه السلام) جسدت لغة الحسين )  
من مجتمعات صالحة وحركات مصلحة جرت عبر أمكنة و أزمئة متتالية، هذه اللغة التي تمثل صرخات مدوية على الظلم و  
تنبأ بما سيؤول إليه المجتمع، فقد كان المجتمع متحركاً ساخناً، يتشابه فيه الأفراد في النوع والماهية؛ لكنهم مختلفون تمام  
الاختلاف من حيث المبادئ و الإيديولوجية والأخلاق والأهداف والغايات .

( (عليه السلام) "أيها الناس إنما يجمع الناس الرضا والسخط"<sup>(6)</sup> نضع كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) وانطلاقاً من قول الإمام علي )  
( على وفق عدة محاور، اللغة في معايير علم اللغة الاجتماعي؛ نستشف منها المضامين الاجتماعية التي تضمنتها لغته )  
هي :

### المحور الأول: اللغة والمجتمع

يُعرف المجتمع بأنه جماعة من الناس يعيشون في جبر اجتماعي واحد من حيث الحاجات، وتحت تأثير عامل مشترك  
من حيث العقائد والأحداث، وبذلك يتلاحمون ويترايطون ضمن حياة اجتماعية واحدة، تجمعهم لغة تفاهم واحدة. هذه اللغة  
عبر عنها ابن مسكويه قائلاً: "إنَّ السبب الذي احتيج من اجله إلى الكلام أنَّ الإنسان الواحد لما كان غير مكتفٍ بنفسه في

<sup>4</sup> ينظر: اللغة والمجتمع ، علي عبد الواحد وافي ، دار النهضة مصر للطباعة والنشر ، ١٩٧١م ، ص/٤-٥ .

<sup>5</sup> ينظر: النحو العربي والدرس الحديث ، د. عبده الراجحي ، دار النهضة العربية، ١٩٨٩م ، ص/ ٢٦ .

<sup>6</sup> نهج البلاغة، خطبة/١٠٥، ص/١٥٣ .

حياته ولا بالغ حاجاته في تتمه بقاء مدته المعلومة، وزمانه المقدر المقسوم؛ احتاج إلى استدعاء ضروراته في مادة بقاءه من غيره، ووجب شريطة العدل أن يعطي غيره عوض ما استدعاه منه في المعاونة التي من أجلها قال الحكماء : "إنَّ الإنسان مدني بطبعه" وهذه المعاونات والضرورات المقتسمة بين الناس هي التي بها يصح بقاؤهم، وتتم حياتهم، وتحسن معاشهم... فلم يكن بد من أن يبرز إلى حركات بأصوات دالة على هذه المعاني بالاصطلاح ليستدعيها بعض الناس من بعض، وليهاون بعضهم بعضًا، فيتم لهم البقاء الإنساني وتكمل فيهم الحياة البشرية<sup>(7)</sup>، وبذلك تشكل اللغة العالم المعرفي للإنسان، فهي الأساس في تشكيل أنماط سلوكه، وطرائق تفكيره، وطموحاته، ومثله، ونظريته إلى الآخرين، وجوه العقلي والثقافي<sup>(8)</sup>.

فالرضا والسخط مقياس الوحدة في المصير، لاسيما في مجتمع الطف، الذي تنطبق عليه معايير هذا المقياس، فإذا رضي الناس بعملٍ - وإن أتى به واحد منهم - فهم مشتركون في حكمه، وكذلك الحال عند اجتماعهم على السخط فيما يخص عمل آخر، "إنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضا، فقال: فعقروها فأصبحوا نادمين"<sup>(9)</sup>، وهذه سنة كونية، إذ ينسب العمل الصادر من فرد إلى مجتمعه، وكذلك ينسب العمل الصادر من جيل إلى جيل آخر، وذلك فيما إذا كان لهم جميعًا فكر اجتماعي واحد، وإرادة اجتماعية واحدة، فيوصفون حينها بأنهم ذوو روح اجتماعية واحدة، لذا نجد ( قد ضمن خطبه وكلماته بالقبول والإنكار المناظرين للرضا والسخط، ففي وصيته لأخيه محمد بن الإمام الحسين ) ( أخاه محمد بن الحنفية، إن الحسين عليه السلام الحنفية يقول: " بسم الله الرحمن الرحيم - هذا ما أوصى به الحسين بن علي ) يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، جاء بالحق من عنده، وأن الجنة حق والنار حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت أريد أن أمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب، عليه السلام لطلب الإصلاح في أمة جدي ) فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين. هذه وصيتي إليك يا أخي وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب "<sup>(10)</sup>، كلمات تدل على مغزى السبط المقدس من هذه الوصية، فإنه أراد الهتاف بغايته العظيمة من نهضته المقدسة، وتعريف الملأ نفسه ونفسيته، ومبدأ أمره ومنتهاه، ولم يبرح يواصل هذا بأمثاله إلى حين شهادته، دحضًا لما كان الأمويون وحلفاؤهم يموهون على الناس بأن الحسين خارج على إمام زمانه، يريد شق العصا وتفريق الكلمة .

<sup>٧</sup> علم اللغة الاجتماعي/المدخل، د. كمال محمد بشر، دارغريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط/١، ص/٢٤.

<sup>٨</sup> ينظر: المصدر نفسه.

<sup>٩</sup> موسوعة مقتل الإمام الحسين (ع)، السيد محمد حسين المقرّم (ت/١٩٧١م)، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، ط/١، ٩، بيروت، (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م) ص/٦٥ .

<sup>١٠</sup> مقتل الحسين، أبو المؤيد الموقف بن حمد المكي الملقب بالخوارزمي (ت/٥٦٨هـ)، النجف، ب. ت. ج ١/ ٨٨، فصل/٩..

( مفهومين اجتماعيين، هما: القبول والإنكار؛ وكلاهما من أفعال الكلام الدالة على التصريح لقد استعمل الإمام الحسين (الانجاز، فذهبت جماعة إلى تصديقه وقبول دعوته، وذهبت جماعة إلى تكذيبه وإنكار دعوته، ولم يبقَ فرد واحد سمع واعية وصرخته: (ألا مَنْ ناصرٍ ينصرني) إلا وانحاز إلى إحدى الجماعتين. عليه السلام الحسين )

وفي الإطار العام دلت هذه الكلمات على ظاهرة اجتماعية عالمية وجدت في كل مجتمع منذ خلق البشرية وحتى يومنا هذا، وهي مفهوم (الوصية) التي قننها الإسلام وجعلها واجبة على كل مسلم، وتعني اصطلاحاً : أن يوصي الإنسان غيره ( من الإشارة إلى الأهداف التي يوثق به في تنفيذ ما لم يستطع الموصي تنفيذه بسبب الموت، ولا تخلو وصية الإمام ( السامية المتمثلة بأصول الدين، وهي: (التوحيد والنبوة والمعاد) إقراراً لفظياً في النصّ ، ثم عرج إلى الموصلة في ذكر الإمامة و العدل في سياق قوله : (أسيرٌ بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب... وهو خير الحاكمين) تلك السيرة التي ( فَإِنَّ فِيهِ أَسْوَأَ لِمَنْ تَأْسَى وَعَزَاءَ لِمَنْ تَعَزَى وَأَحَبُّ الْعِبَادِ عليه السلام ) بقوله: افْتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ عليه السلام بوصفها الإمام علي) إلى الله المتأسّي بنبيّه والمفتصّ لأثره فضمّ الدنيا قضمًا ولم يعرها طرفاً أهضمّ أهل الدنيا كسحاً و أخصمهم من الدنيا بظناً عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها وعلم أن الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه وحقر شيئاً فحقره وصغّر شيئاً فصغّره ولو لم يكن فينا إلا حبنا ما أبغض الله ورسوله وتبغضنا ما صغّر الله ورسوله لكفى به شقاقاً لله ومحادّة عن أمر الله ولقد كان ( يأكل على الأرض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العاري... " (11). عليه السلام

نجد في الوصية أيضاً إشارة إلى ظواهر اجتماعية ابتلى بها المجتمع في الجاهلية، و صدر الإسلام تمثلت بألفاظ : ( كان من أجل ذلك وجاء ذكرها على وفق التصريح الأشر، والبطر، والإفساد، والظلم ) وكلها ألفاظ كافحها الإسلام، وخروجه ( تقابلية فنية، تمثلت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والأشير لغة : من أشير أشراً فهو أشير من باب (تعب وبطر وكفر) النعمة فلم يشكرها، وأشّر الخشب أشراً من باب قتل شقها لغة في النون، والمنشار بالهمز من هذه، والجمع مآشير، فهو أشير والخشب مآشورة قال الشاعر: أناشير لازالت يمينك أشرة .

فجمع بين لغتي الهمزة والنون، قال ابن السكيت في كتاب التوسعة: وقد نقل لفظ المفعول إلى لفظ الفاعل فمنه: يد أشرة والمعنى مآشورة، وفيه لغة ثالثة بالواو، فيقال: وشرت الخشب بالميشار، وأصله الواو مثل: الميقات والميعاد، وأشرت المرأة أسنانها رقت أطرافها، وقد نهي عنه في الحديث: " لغت الآشيرة والمآشورة " (12).

أما (بطر) بطراً فهو بطر من باب تعب بمعنى أشر أشراً، والبطر الشق وزناً ومعنى، وسمي البيطار من ذلك وفعله يبطر (ببطر) بنيطرة (13).

<sup>11</sup> نهج البلاغة، خطبة/ ١٦٠ ، ص/ ٢٢٩ .

<sup>12</sup> ينظر: المصباح المنير، احمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ (ت/ ٧٧٠ هـ) دار الحديث، ط، ١٤٢٤ هـ- ١- ٢٠٠٣ م

ويبدو أن بين اللفظتين اشتراك معنوي، إذ يشتركان في مستويات لغوية متعددة، لذا نجد أصحاب المعجمات يفسرون معنى اللفظة الأولى بالأخرى وبالعكس.

ولا يخفى على اللبيب أسلوب الحجاج الدال على البرهان والاستدلال من جهة، وعلى معادلة: (لا جبر ولا تفويض) من (في الصلاة) أهداف ثورته وغايته منها، ففي قوله (الصلاة) في كلامه فقد أوضح (الصلاة) أخرى، اللذين استعملهما الحسين (خطبته الأولى يوم التاسع من المحرم لأعدائه: "أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظم بما هو حق لكم علي، وحتى (أيها) : (أيها الناس) إذ لم يقل: أعتذر إليكم من مقدمي عليكم..."<sup>(14)</sup> نجد الأسلوب الأمميّ الشامل قد اقتضب في عبارة المؤمنون) أو (أيها المسلمون) أو أيتها العصابة)... وسواها؛ لأنّ القوم الذين وجه كلامه إليهم لم يكونوا من دين واحد أو أمة واحدة، وفي ذلك أشارتان دلالتان، هما:

الإشارة الأولى: إنّ القوم الذين تحدث معهم كانوا من أمم شتى، منهم اليهودي والنصراني والمشرک والملحد والمنافق، وهو حالهم حينها فعلاً.

الإشارة الأخرى: إنّ الخطاب قد يكون موجهاً للبشرية كافة عبر الأزمنة والأمكنة كافة، فيكون المعنى الحجاجي أبلغ؛ لأنّ الرسالة الحسينية التي بعثها للمتلقى لا تحدّها الحدود ولا الأزمنة على وفق هذا المعنى، فهي بذلك رسالة عالمية مستمرة، تكون بمنزلة الفرقان بين الحق والباطل في كل صراع، تكشف عن حال المتلقى، بأسلوب الوعظ والتذكير وإلقاء الحجج البالغة.

بهذا المعنى يُعدّ الحجاج سمةً من سمات البيان والتفريق، وضرباً واسع المجال، لانعقاد الأمر فيه على دراسة مجمل التقنيات البيانية الباعثة على إذعان السامع أو القارئ<sup>(15)</sup>، فأساليب (النداء، والوعظ، والطلب بفعل الأمر، ولا الناهية مع) للتأثير في المتلقى، فضلاً عن ذلك فإنّ السمة الاجتماعية (الصلاة) المضارع) كلّها تقنيات إقناعية، استعملها الإمام (واضحة في سياق النصّ، فالنداء بابّ وما حواه من أحكام وقوانين يمثل ضرباً من الخطاب الكلامي الذي لا يكون له الأثر في التواصل إلا بوصفه عنصراً من عناصر مسرح اجتماعي يضم مرسلاً ومستقبلاً، أو مخاطباً ومتلقياً، على أنّ بين طرفي النداء علاقة من نوع ما، استلزمت مقاماً توظيف هذا الأسلوب خاصة، وقد أشار النحاة إلى هذا الربط بين الأسلوب الندائي (إلى هذا المعنى بقوله: (... حتى اعتذر إليكم الصلاة والأسلوب المقامي، وتنوع الأحكام تبعاً لتنوع ظروف المقام، وقد أشار) من مقدمي عليكم) ذلك المقام الذي فرضه الله سبحانه وتعالى على الأمة الإسلامية من طاعة أئمة الزمان (الحسن

<sup>١٣</sup> نفسه، ص/٣٦

<sup>١٤</sup> مقتل الحسين، الخوارزمي، ج ١ / ٨٨ .

ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس "حو النص"، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع<sup>15</sup>، بيروت، ٢٠٠١م، ب.ت ج ٢ / ١٦٠ .

والحسين إمامان قاما أو قعدا)، فالأسلوبان ( الندائي والمقامي) جسدا رابط المبنى بالمعنى، أي أنهما أقاما علاقة ترابطية بين مكونات النص ومقامه، فحذف حرف النداء (يا) يدل على أن الخطاب موجه بنحو مقصود إلى مخاطب قريب؛ لأن النحاة العرب وجدوا عند تفعيد الأحكام أن أداة النداء لا يجوز حذفها مع المنادى البعيد؛ لاحتياجه لمد الصوت المنافي للحذف، وكذلك الحال مع النكرة المقصودة، وهذا يؤكد قرب المتلقي مقامياً وبعده زمنياً .

كذلك في النص إشارة لسانية تمثلت بالضمير الجمعي في عبارة: ( اسمعوا قولي ولا تعجلوا) الممزوج بأسلوب الطلب بفعل الأمر ولا الناهية والفعل المضارع؛ للدلالة على وجوب الإصغاء والانتباه، كما في قوله تعالى: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ طه/ ١١٤ .

ربما يرد إشكال في ذهن مفاده: ما المقصود من الاعتذار والمقدم في السياق المذكور الآتفا ؟ والجواب عنه: أن تعاضد القران اللفظية والقران المعنوية تظهر دلالة الاعتذار أنه يعني بلوغ الحجة وبراءة الذمة في ضوء الإنذار الذي وجهه ( لأولئك الناس بحكم مقامه من الله ورسوله، وولايته على المسلمين إبراء لذمته، عبر تقنية وعظ تجسد بالناصح العظيم) الشفيق العارف بالله حق معرفته، امتثالاً للمبدأ العلوي: الناس " صِنْفَانِ إِمَّا أَحَ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ " (16).

#### المحور الثاني : التناظر والتقابل

من أجمل صور التقابل الدلالي المأخوذة من المبدأ القرآني: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي أَوْلَا : التقابل في الموقف : إنَّ الدِّينَ ﴾ البقرة/ ٢٥٦ . ما نجده في سياق الخطبة من تقابل في الموقف، تمثل بطرفي الاختيار، بين القبول والإنكار :

الأول: " فَإِنْ قَبِلْتُمْ عِزِّي وَصَدَقْتُمْ قَوْلِي، وَأَعْطَيْتُمُونِي النِّصْفَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، كُنْتُمْ بِذَلِكَ أَسْعَدُ، وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَلَيَّ سَبِيلٌ " (17)

والآخر: " وَإِنْ لَمْ تَقْبَلُوا مِنِّي الْعِذْرَ وَلَمْ تَعْطُونِي النِّصْفَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ، ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَةً ، ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُوا " .

هذه الصورة التقابلية تمثلت بثنائية شرطية تساويلية، طرف كل جزء منها يمثل فعل الشرط وجوابه عبر آلية حاجية ( من الله سبحانه حين قال: " إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ، وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ " الطه/١٨٤) زينها لغوياً ومقامياً قريبه) ليميز عقيدة الإصلاح التي تبناها مشروعاً لنهضته من العقائد الفاسدة .

هذا الموقف التقابلي أبكى الرجال والنساء من أهل بيته وأصحابه؛ استمالاً للمتلقى المقصود، فالبكاء ظاهرة وجدانية اجتماعية إنسانية، جعلها الله سبحانه وتعالى سمة أولى من سمات النشأة الاجتماعية عند الفرد، تمثل خليطاً من الفرح والحزن.

<sup>١٦</sup> نهج البلاغة، كتاب/٥٣، ص/٤٢٨ .

<sup>١٧</sup> مقتل الحسين، الخوارزمي، ج ١ / ٨٨ .

( البكاء بمفتاح جديد، تمثل بلغة اجتماعية جديدة، هي لغة التهليل بالدعاء والثناء حين قال: " الحمد لله قطع الحسين )  
 الله الذي خلق الدنيا، فجعلها دار فناء وزوال، متصرفاً بأهلها حالاً بعد حالٍ، فالمغرور من غرته، والشقي من فتنته، فلا  
 تغرنكم هذه الدنيا، فإنها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخب طمع من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمرٍ قد أسخطتم الله  
 فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، واحلّ بكم نعمته، وجنبكم رحمته، فنعم الربّ ربنا، وبأس العبيد أنتم، أقررتم  
 )، ثم إنكم زحفتم على ذريته وعترته، تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان ﷻ بالطاعة، وآمنتكم بالرسول محمد  
 فأنساكم ذكر الله العظيم، فتباً لكم ولما تريدون، إنا لله وإنا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم، فبعداً للقوم الظالمين "  
 (18) .

ثانياً: الثنائيات التركيبية المتناظرة : نجد في النصّ المذكور أنفاً تراكيب ثنائية متناظرة، وهي :

- \_ ( دار فناءٍ وزوال) تناظر ( متصرفة بأهلها حالاً بعد حال) .
- \_ (فالمغرور من غرته) تناظر ( والشقي من فتنته) .
- \_ ( فإنها تقطع رجاء من ركن إليها ) تناظر ( وتخب طمع من طمع فيها ) .
- \_ (اجتمعتم على أمرٍ أسخطتم الله فيه عليكم ) تناظر ( واعرض بوجهة الكريم عنكم) .
- \_ ( احلّ بكم نعمته) تناظر ( وجنبكم رحمته) .

عضدت الجملة الثانية معنى الجملة الأولى، فضلاً عن التعاضد اللفظي المتمثل بالسجع وموسيقى الأصوات وتناغم  
 التراكيب، والمقصود بالتراكيب هنا الجمل التي يتوافر فيها مبدأ الإفادة والاستقلال، (19) وعلى هذا لا يمكننا أن نعدّ جملة فعل  
 الشرط أو جملة جوابه، جملة تامة، فهي ناقصة المعنى؛ لأنّ مثل هكذا جمل غير مستقلة، ولا يصح السكوت عنها .

( سلطته الشرعية بوصفه الإمام المعصوم المفترض الطاعة على المتلقي في خطبته، وكأنه ﷺ لم يمارس الإمام )  
 ( على الإكراه بالدرجة الأولى، بل على الإقناع والتأثير ﷺ يخاطب المجتمعات الديمقراطية الحديثة، إذ لم تعتمد خطبته )  
 اللذين باتا من العناصر الحاسمة في إيصال الخطاب لفئات المجتمع كافة ، وهو نوع من السياسات اللغوية التي امتاز بها  
 الخطاب الدينيّ عموماً والخطاب الحسينيّ خصوصاً، إذ لاشك أنّ فكرة الهيمنة عبر آلية الإقناع تحقق إجماعاً مع التعدد  
 الشكليّ والعقديّ داخل المجتمع، وهو ما يعرف في اللسانيات الحديثة بـ(الهيمنة الناعمة)(20) التي دفعت بمدارس التحليل

<sup>١٨</sup> - نفسه .

<sup>١٩</sup> - كما هي عند ابن جني (ت ٣٩٥ هـ) في قوله في حدّ الكلام: " أنّهُ في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برووسها،  
 المستغنية عن غيرها، وهي التي يسميها أهل الصناعة الجمل " الخصائص ، ابن جني(٣٩٥ هـ) ، دار الهدى للطباعة ، لبنان -  
 بيروت ، ط٢ ، ج٣٢/١

النقدي للخطاب نحو الاهتمام بتحليل الخطاب الإعلامي، الذي يُظهر عملية الصراع والهيمنة عبر الإقناع واستمالة وعي الجماهير.

تقترب آلية ( الهيمنة الناعمة) من نظرة ميشيل فوكو المتميزة للخطاب، حين ربط الخطاب بالسلطة، فإذا كان هناك ارتباط وثيق بين الخطاب والسلطة، فإن ذلك ليس مجرد تخطيط من السلطة حسب، بل هو تنظيم عبر بناء علاقة تجمع بين اللغة وأنماط الهيمنة الاجتماعية(21).

( التراكيب الثنائية المتقابلة، تاركًا حرية الاختيار للمتلقي، ومن هذه التركيب الثنائية المتقابلة: استعمل الإمام ) الثنائية المتقابلة :

\_ جملة: ( فنعم الرب ربنا) في قبالة جملة (وأيأس العبيد أنتم)

( في قبالة جملة: ( ثم إنكم زحفتم على ذريته وعترته تريدون قتلهم). \_ جملة: ( أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول

نجد أكثر ما يميز هذه الثنائيات التقابل أيديولوجيًا، وخلوها من السجع، ونقصد بالأيديولوجية أنها العقيدة أو الفكرة السياسية التي يتم في ضوئها فهم المواقف الاجتماعية وتنظيمها، وتسيطر بنحو غير مباشر على تشكيل سياق الخطاب، ( تتمثل بالإيمان بالله ورسوله، ويتبين لنا ذلك من التحليل المعرفي لهياكل خطبته المباركة: "الحمد لله الذي خلق الدنيا... فنعم الرب ربنا... وأعرض بوجهه الكريم عنكم... لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله... إنا لله وإنا إليه راجعون...)" تلك الهياكل المليئة بالثناء والحمد والتجليل والتوصيف الجميل لله تبارك وتعالى والإقرار بعبوديته وبالنعيم والذكر والمعاد .

(في فقرات متعددة من القرآن وهي أيديولوجية أصول الدين وفروعه، بخلاف أيديولوجية المخاطبين التي بيّنها الإمام ) خطبته، منها:(هؤلاء قومٌ كفروا بعد إيمانهم فبعدا للقوم الظالمين) و(لقد استحوذ عليكم الشيطان...).

مثل الصراع الأيديولوجي بين مُبدع النصّ ومتلقيه مفاهيم الذوات في المسرح الاجتماعي، فهذا الصراع جوهر القضية، وتسعى الأيدلوجيات المتصارعة إلى سدّ الفجوة بين الإدراك الاجتماعي والإدراك الشخصي، فالحسين أمةٌ كاملةٌ وإن كان شخصًا واحدًا، فقد تحدث بالضمير الجمعي لفئة الموحدين والمصلحين مستعملًا فن الخطابة وسيلة إعلامية؛ لأنها الوسيلة الأنجع للتعبير الموضوعي عن عقيدة الفئة المؤمنة واتجاهاتها، وما يترتب عنها من منحنى ثقافي واع .

### المحور الثالث : اللغة والهوية

( ألقاظاً ذات دلالات مشتركة عرفياً مثل: (الآل والعترة والذرية) مع أننا نجد بينها فروقاً عليه السلام استعمل الإمام الحسين ) دلالية دقيقة، فالآل قرابة الرجل، وذريته نسله، فكل ذرية آل، وليس كل آل بذرية، وأيضاً: الآل يختص بالأشراف وذوي الأقدار، بحسب الدين أو الدنيا، فلا يقال: آل حجاج، وآل حائك، بخلاف الذرية<sup>(22)</sup>، أما العترة على ما قال المبرد فهي النصاب، ومنه عترة فلان أي منصبه، وقال آخر: ( العترة أصل الشجرة بعد قطعها، قالوا: فعترة الرجل أصله) وقال آخر: ( يعني قريشاً، عليه السلام عترة الرجل أهله وبنو أعمامه الأذنون) واحتجوا بقول أبي بكر (رضي الله عنه) عن عترة رسول الله ( فهي مفارقة للآل على كل قول؛ لأن الآل هم الأهل والأتباع، والعترة هم الأصل في قول، والأهل وبنو الأعمام في قول آخر<sup>(23)</sup>).

( تبأ لكم)، فالتب تعني الهلاك والخسران، وقد جاءت في النص بصفة العموم بقرينة (لكم)، بخلاف عليه السلام أما قوله ( مجيئها في قوله تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} {المسد/ ١}، على أن من المفسرين من ذهب إلى القول بأن (تب) الثانية في الآية جاءت على قاعدة ذكر العموم بعد ذكر الخصوص للتوكيد، وربما جاءت (تب) الثانية لتشمل أعمال أبي لهب كافة )... و سواها . عليه السلام من عبادة الأصنام وشرب الخمر وإيذانه رسول الله (

(: " أيها الناس: انسيوني من أنا؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، وانظروا هل يحل لكم قتلي؟ وانتهاك عليه السلام ثم قال ( حرمتي؟ ألسنت ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه، وأول المؤمنين بالله، والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه؟ أوليس ( لي ولأخي: ( هذان سيدا شباب عليه السلام حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أوليس جعفر الطيار عمي؟ أولم يبلغكم قول رسول الله ( أهل الجنة ) فإن صدقتوني بما أقول وهو الحق، والله ما تعدت الكذب منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، ويضرب به من اختلقه. وإن كذبتوني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري وأبا سعيد الخدري وسهل ( لي ولأخي، أما في سعد الساعدي وزيد بن أرقم وأنس بن مالك، يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله ( هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟<sup>(24)</sup>

إن تكرار عبارة: (أيها الناس) فيه إشارة دلالية إلى أمرين هما:

- ١- تأكيد حال المخاطبين وبيان عقائدهم المختلفة حتى وصل بهم الأمر إلى تكرار دين الحسين عليه السلام ونسبه، وهذه العبارة بمنزلة التوكيد التركيبي البعيد، لوجود اليوم من لا ينكر نسب الحسين عليه السلام، لكنه ينكر منزلته عند الله ورسوله وأحقيقته بالثورة إلى الظلم .
- ٢- انتقاله خطابية من أسلوب الوعظ والإرشاد والوعد والوعيد إلى أسلوب الحجاج الواضح الصريح زيادةً في التوكيد وعظيم الحجة على القوم المخاطبين، لذا نجد أن الخطاب قد تحول من الحديث عن الأيديولوجية إلى الحديث عن الهوية، بأسلوب الحجاج الصريح عبر أسلوب الاستفهام التقريري، لتأكيد أمرين هما:

<sup>٢٢</sup> ينظر: معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري(ت/٥١٨هـ) مؤسسة النشر الإسلامي، قم ط٢، ص٦، مسألة / ٦ .

<sup>٢٣</sup> ينظر: نفسه، ص/٣٥٠، مسألة / ١٤٠٤ .

<sup>٢٤</sup> مقتل الحسين، الخوارزمي، ج ١ / ٨٨ .

-الأمر الأول : منزلته (عليه السلام)، فالحسين سيد شباب أهل الجنة .

( هنا هي (لغة الهوية)، لذا نجد الأفعال المستعملة في هذه الخطبة - الأمر الآخر : إنَّ اللغة التي تحدث بها الحسين )  
الفقرة من الخطبة المباركة هي من أفعال الهوية وهي : ( انسبوني، وارجعوا، عاتبوها، انظروا، هل يحلُّ، ألسْتُ ،  
أوليس... وسواها) مما يدلُّ على أنَّ اللغة سلوكٍ خارجيٍّ تسمح للمتكلم من طريق هذا السلوك أن يعين نفسه عضواً في  
( مستشهداً بحديث عليٍّ بمجموعة معينة، وهنا المقصود مجموعة (أهل المعرفة)، وكذلك من لغة الهوية يعبر عن ذاته )  
( : هذان سيدا شباب أهل الجنة)... ومزيداً في الحجاج حينما عيَّن نفسه وانتسابه إلى النبوة والإمامة: (... عليٍّ النبي )  
ألسْتُ ابن بنت نبيكم وابن وصيه... هذا التركيز في التعيين أفاد المبالغة والتوكيد في الحجاج؛ ليمزج هويته الأسرية  
بهويته الدينية، على وفق أسلوب المقابلة التي سارت عليها منهجية الخطبة.

( هوية المخاطبين الهمجيين، بل أكثر من مجرد تلقيهم أو تسميتهم، فقد وضع لهم أطراً من عليٍّ وحدد الحسين )  
العلاقات، تتغير دائماً عبر مراحل من الصراع المستمر، يتضمن على حدِّ سواء أنهم مختلفون عن أهل المعرفة، وأنهم  
مختلفون فيما بينهم أيضاً، وإن كان ذلك ليس على نحو التصريح، إنما دلَّت عليه عبارة: (أيها الناس) المتكررة في الخطبة،  
( قتلاً للمبادئ والقيم السامية، وبعضهم قتله بَعْضاً بأبيه علي بن أبي طالب وبعضهم قتله طمعاً في بعضهم قتل الحسين )  
( وأصحابه، فهم من ( الهمج بالغانم، وبعضهم قتله طمعاً في السلطة، أما عامة القوم الذين شاركوا في قتل الحسين )  
الرعاع الذين ينعقون مع كلِّ ناعق) فهم إذن ليسوا على أمرٍ واحدٍ، بل كانوا على صيرورة معقدة، تمثلت بكيفية مكثفة من  
الحقد وتعدد الغايات، فظهرت مشتتة على خاصيتها المختلفة.

( في إظهار الفرق بين المتكلم عليٍّ فاستعمال أسلوب ( لغة الهوية) وسيلة من وسائل الحجاج التي انتهجها )  
( مجموعة متغايرة، تعطي وتؤخذ من طرفها، بل كان في صيرورة واحدة عليٍّ والمتلقين، إذ لم تكن هوية الإمام الحسين )  
ومستمرة مدى الحياة، فالهوية " تخلق من جديدٍ شكلاً لا متناهياً على وفق قيود اجتماعية مختلفة كثيراً (تاريخية  
واقْتصادية... وسواها) وتفاعلات اجتماعية وصدامات وآمال قد يتفق على أنها أكثر ذاتية وفرادة " (25) استعمل الإمام لغة )  
لغة الأسرية) متدرجاً من الأشرف إلى الشريف، فقال: " انسبوني من أنا، ألسْتُ ابن بنت نبيكم، وابن وصيه... و أليس  
( بذكر هويته الأسرية من الأشرف إلى الشريف، فاحتج أولاً بأنَّه الوحيد من الأحياء في هذا عليٍّ جعفر الطيار عمي؟) تدرج )  
الكون ابن بنت نبي، وأشار إلى أنَّه ابن وصيه، بوصفه الوحيد من الأحياء ممن نصَّ عليه الحديث باسمه الصريح، أنه  
وصي، فأراد بذلك التفرد بذكر الهوية وشرفها؛ ليبالغ في الحجة على خصومه، ويؤكد على الوصي الشرعي الذي أشارت إليه  
الآية الكريمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾ المائدة/ ٣، ثم فصل القول بعد  
أجماله بقوله: ( وابن عمه وأول المؤمنين به... من عند ربه). لتأكيد أسبقيته بالإيمان، وزيادة في هذا التدرج قال: ( أوليس  
حمزة عم أبي... أوليس جعفر الطيار عمي) فاستعمل الاستفهام ليظهر حال المخاطبين وما سوف تؤول إليه الأمور من

<sup>٢٥</sup> دليل السوسولسانيات، أندريه تابوري - كيلر، تحرير: فلوريان كولماس، ترجمة: د. خالد الأشهب ود. ماجدولين النهيبي،

قتلهم إياه مع أن القتل لهم عادة وكرامتهم من الله الشهادة: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾  
الكهف/ ٩ .

Language Embedded فضلاً عما رأيناه من تدرج في ذكر الهوية الأسرية لكنها بقيت هوية مدمجة لغوياً ( ووصيه مثلاً، ورجالات أسرته في ﷺ ) بالنبي (ﷺ)، لأنها تعتمد على أدوات رمزية صارمة، كعلاقته (Identities) هوية مدمجة، لأنها التضحية والمكانة الاجتماعية، كل تلك الأدوات الحسية والمعنوية جعلت الهوية الأسرية للحسين ( ضمت أدوات معنوية، تمثلت بعلاقات تتعاضد شرفاً .

وعلى الرغم من أن مصطلح الهوية المدمجة شامل، غير أنه ليس لفظياً؛ لأن الهوية سمة خارجة عن اللغة، لكنها ( للدلالة على استقلالية الهوية و تفردا من جهة، وعلى ارتباطها بالثقافة وترتبط ارتباطاً وثيقاً باللغة، واستعملها الإمام الحسين ( الوثيق بأهل المعرفة والتوحيد من جهة أخرى، أي أنها ترتبط أولياً بمبادئ تبدي سلوكاً غير فعلي خالص، على وفق قيود ثقافية واتجاهات لم تكن مستقلة في التوسط الرمزي .

إن الترابط بين اللغة و الهوية هو ترابط قوي، حتى أن سمة واحدة في الاستعمال اللغوي تكفي لتعيين علاقة شخص ما ( كلامه بقوله: (أما في ذلك حاجز لكم عن سفك دمي ؟) . الجماعة معينة، فحين أتم الإمام الحسين ( قال الشمر : هو يعبد الله على حرف إن كان يدي ما يقول .

فقال له حبيب بن مظاهر الأسديّ : " والله إنني أراك تعبد الله على سبعين حرفاً، و أنا اشهد أنك صادق ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك " .

وهذا الموقف يشابه الموقف الذي طبقه (جيليدس) للتمييز بين الصديق والعدو في ساحة المعركة بعد انتصاره على ( فالذين shibboleth شعب إبراهيم مستعملاً مبدأ ( اللغة = الهوية )، إذ طلب من كل الجنود أن ينطقوا كلمة (شيبوليت - نطقوا الصانث الأول ك ( ك ) كانوا أصدقاء، و الذين نطقوه (ع) كانوا أعداء فقتلوا في الحال<sup>(26)</sup>. لهذا السبب فإن سمة صوتية واحدة قد تكون كافية لتؤمن أو تقضي شخصاً ما من أي مجموعة أو جماعة، لكن يمكن لأي مادة لغوية رمزية معقدة أن تؤدي الوظيفة نفسها، وكلام الشمر أوضح هويته، و سياق كلام حبيب بن مظاهر أوضح هويته، وهذا الأمر يقودنا إلى وجود نوعين من المتلقين؛ متلق مقصود و متلق غير مقصود، و يؤكد هذا الأمر قول الإمام الحسين بعد سماعه قوليهما : " إن كنتم في شك من هذا القول، أفتشكون في أي ابن بنت نبيكم ؟ فو الله ما بين المشرق و المغرب ابن بنت نبي غيري فيكم، ولا في غيركم، ويحكم أطلبونني بقتيل منكم قتلته ؟ أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص جراحة ؟ " (27) .

جاءت هذه العبارات تأكيداً للأشرف في الهوية الأسرية، إذ جاء بالفعل المضارع (أفتشكون) ليعطي معنى تقوية الشعور بحضور الشيء المتحدث عنه في ذهن المتلقي .

<sup>٢٦</sup> ينظر: دليل السيوسيو لسانيات ، ص/٦٨٣

<sup>٢٧</sup> مقتل الحسين، الخوارزمي ، ج ١ / ٨٨ .

والقول في سياق الفقرة بروزاً لظاهرة (الالتفات) ، إذ إنَّ " الفعل المضارع إذ أتى به في حال الأخبار عن وجود شيءٍ كان ذلك ابلغ من الأخبار بالفعل الماضي، ذلك لأنَّ الفعل المضارع يوضِّح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة حتى كأنَّ السامع يسمعها ويشهدها، وليس ذلك في الفعل الماضي"<sup>(28)</sup> و في ذلك مقاربة لما جاء به كل من (بِرلمان) و(تيتيكاه) في حصر وظيفة الالتفات الحجاجية في جعل الشيء الذي عليه مدار الالتفات أشدَّ حضوراً في ذهن المتلقي<sup>(29)</sup>، وهو ما (الخطيب) من تغيير زمن الفعل بين الحاضر والماضي مع تلازم هويته الأسرية و تماسكها، وغايته (الخطيب) أراد الإمام الحسين ( من توكيدها في ذهن المتلقي، ويكون ذلك بتقوية الشعور بمدى حضور الهوية المتحدث عنها بوساطة الالتفات الزمني " على عادة افتتان العرب في الكلام وتصرفهم فيه؛ لأنَّ الكلام إذا نُقل من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ، كان ذلك أحسن نظرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوبٍ واحدٍ " <sup>(30)</sup> .

( يستدعي stimulus وهذا الكلام يجعل ظاهرة الالتفات قريبة من مفهوم (الأسلوب) عند ريفاتير بوصفه منبهاً ) الاستجابة له من لدن المخاطب، ويأتي هذا المنبه أو التصرف الأسلوبية خرقاً لما دأب فيه الكلام ويسميه ( السياق Pattern وعرفه بقوله : "السياق الأسلوبية عبارة عن النمط التعبيري المتبع (Le contexte stylistique الأسلوبية) يخرقه عنصر غير متوقع " <sup>(31)</sup> .

( القسم الممزوج بأسلوب القصر لتأكيد هويته الأسرية والعقائدية بقوله: " فو الله ما بين المشرق و المغرب استعمل الإمام المغرب ابن بنت نبي غيري فيكم و لا في غيركم " أشار إلى أنَّه الأوحد بين الحاضرين وغير الحاضرين من أحياء المسلمين وأحياء غيرهم ابن بنت نبي، وتدلُّ على ذلك عبارة (ولا في غيركم)، وهذا النوع من السياق الأسلوبية يسمى عند (ريفاتير) بـ) السياق الكبير ( وهو على شكلين، هما<sup>(32)</sup>):

١ - سياق + تصرف أسلوبية + السياق نفسه (مؤكدًا) .

٢ - سياق + تصرف أسلوبية + منطلق سياق جديد ( ولا في غيركم ) .

<sup>٢٨</sup> - الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن ، ابن قيم الجوزية، بأشراف: لجنة تحقيق التراث، مكتبة الهلال، بيروت، د.ت، ص/ ١٤٨ .

٢-Perelman at tyteca , Traite de L`argument tation, op.cit,p216 et pp239-241 .

<sup>٣٠</sup> - الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري(٥٩٤هـ) الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٨، ج٢/٥٨٣

٤- M.Riffateme Essais de stylistig stru cturale , op,cit.p.65.

<sup>٣٢</sup> - نفسه ، ص/ ٦٨ .

و يبدو أنَّ الإمام استعمل هذا النوع من السياق الأسلوبِي للضغط على ذهن المتلقي، ولفت انتباهه إلى مواطن مخصوصة من الكلام، ليبليغ أقصى درجات الحجاج في الإشعار بقوة حضور الفكرة أو المعلومة المخصوصة.

( : ( أَلَسْتُ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ... )، و ( أ فَتَشْكُونَ فِي أَنِّي ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ ) و ( فَوَ اللَّهُ الْعَلِيُّ ) ومن جانب آخر نجد قول الإمام ( ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي فيكم غيري ولا في غيركم ) ينطبق على ما يسميه السكاكي بـ ( الأسلوب الحكيم ) أو ما يسميه ابن أبي الأصبع بمصطلح ( التلغيف )، وهو عند السكاكي " ينزل سؤالُ السائل منزلةً سؤالِ غيرِ سؤاليه " (33)، وهو من بعض الوجوه عدول نسقي، لكن يبقى الأصل في الإجابة بحسب ما يراه الزركشي: " أن يكون مطابقاً للسؤال " (34)، ويقتضي هذا من الناحية الإعرابية أنَّ تكون بنية الجواب النحوية مطابقة لبنية السؤال، قال الزركشي في ذلك: " الأصل في الجواب أنَّ كذلك " (35)، أما عند ابن أبي الأصبع: " أن يسأل يكون مشاكلاً للسؤال، فإن كان جملةً اسميةً فينبغي أن يكون الجواب السائل عن حكم (... ) فيعدل المسؤول عن الجواب الخاص عما سئل عنه من تبين ذلك النوع، ويجب بجوابٍ عام، يتضمن الإبانة على الحكم المسؤول عنه، وعن غيره، بدعاء الحاجة إلى بيانه كقوله تعالى: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) الأحزاب/٤٠، فإنَّ الكلام جاء جواباً عن سؤالٍ مقدر، وهو قول القائل: "أترى محمداً أبا زيد بن حارثة" (36)، ويبدو أنَّ الفرق ما بين الذي ذهب إليه السكاكي في مصطلح ( الأسلوب الحكيم ) وما ذهب إليه ابن أبي الأصبع في مصطلح ( التلغيف )؛ هو أنَّ السؤال في نظر الأخير يكون مقدرًا في البال مثلما يكون محققًا في المقال، وهذا من شأنه أن يجعل الكلام كله جواباً عن أسئلة، إن لم تكن محققةً فهي مقدره، ويبدو أنَّ ظاهرة الأسلوب ( من جهة أنَّ العدول النسقي لا يكون إلا بالتصريح بالسؤال - السكاكي ) هي أكثر ملاءمة مع ما قاله الإمام الحسين ( : "إن كنتم في شك من القول بإيراد الجواب عنه، بطريقة يفهم منها أنَّ محتوى الجواب جاء عدولاً عن محتوى السؤال، فقلوه ( ؛ لذلك عدل بنسق الكلام ( أ الْعَلِيُّ هَذَا الْقَوْلُ، أ فَتَشْكُونَ فِي أَنِّي ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ؟" وهو تأكيد للقول المتقدم من خطبته ( فتشكون ) من الشرط ( إن كنتم ) إلى الاستفهام ( أ فتشكون ) ومن الفعل الماضي ( كنتم ) إلى الفعل المضارع ( تشكون ) ومن صيغة الاسم شك ( إلى صيغة الفعل ( تشكون ) وأراد من كل ذلك العدول أنَّ يهيئ ذهن المتلقي لأمر لم يدرك حجم خطورته و مراتب عظمتها، لذلك أجاب عن تساؤله بقوله: " فَوَ اللَّهُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ... و لا في غيركم " وهو جواب شامل لهذا التساؤل و لغيره من التساؤلات، منها :

- هل يوجد ابن بنت نبي غيره في الحاضرين ؟
- هل يوجد ابن بنت نبي غيره في غير الحاضرين ؟

<sup>٣٣</sup> مفاتيح العلوم ، أبو يعقوب السكاكي ( ت/٦٢٦ هـ ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٣ ، ص/٣٢٧

<sup>٣٤</sup> البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي ( ت/٧٩٤ هـ ) تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ،

١٩٧٢ ، ج ٢/٤

<sup>٣٥</sup> نفسه ، ج ٧/٤

<sup>٣٦</sup> بدیع القرآن ، زكي الدين ابن أبي الأصبع ( ٥٨٥ هـ - ٦٥٤ هـ ) تحقيق وتقديم: حقي محمد شرف ، مكتبة نهضة مصر ،

ط ٧ ( ١١٣٧ هـ - ١٩٥٧ م ) ، ص / ١٢٤

- هل يوجد شخص حيّ جده نبي غير الحسين في المشرق و المغرب ؟

( بهذه الميزة .عليه السلام وغير ذلك من الأسئلة التي تدلّ على تفرد الإمام الحسين )

وتقودنا هذه التساؤلات إلى النظر في مفهوم نظرية ماير<sup>(37)</sup> (المساءلة والبلاغة)، إذ استطاع (ماير) اعتماداً على منطلقات فكرية معرفية، ومرتكزات أساسية فلسفية أن يؤسس منهجاً تساؤلياً يقوم على مبدئين هما : المبدأ الافتراضي في تحليل الأقوال ومبدأ الاختلاف الإشكالي داخل الأقوال، إذ تقوم كل الأقوال في العمليات التواصلية على مبدأ الافتراض المؤسس على الجواب والسؤال المفترضين، انطلاقاً من مجموعة من المقومات التي تحكم العمليات التواصلية كالمساق والمعلومات السالفة والمعلومات الموسوعية والتجربة الذاتية والقدرات التفكيرية والتأويلية والتخييلية، إذ يصبح كل قول خبراً أو إنشاءً (استفهاماً، أو تعجباً، أو نهياً، أو أمراً...) افتراضاً لشيء ما داخل السياق النصي، أي جواباً عن سؤال سالف، وسؤالاً لجواب لاحق، وبهذا يعبر الافتراض عن افتراضات متعددة ومختلفة تقتضيها العلاقات الإنسانية لتحقيق أهدافها ومراميها، تقتضيها انفعالات ذاتية تؤثر في سياق الخطبة<sup>(38)</sup>.

( جاءت جواباً لسؤال مفترض سابق يمكن استنتاجه من قوله عليه السلام وعلى وفق هذه النظرية يبدو لنا أنّ خطبة الإمام الحسين )  
الفقرة الأولى للخطبة في عبارة : ( اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حق لكم عليّ، و حتى اعتذر إليكم من مقدمي عليكم ) وهو :

لماذا تريدون سفك دمي و انتهاك حرمتي ؟ و قد تضمنتها الخطبة أيضاً بقوله عليه السلام : ( أما في ذلك حاجز لكم عن سفك دمي ؟ ) ثم نين ذلك في الفقرة الأخيرة من خطبته : ( ويحكم أطلبونني بقتيل لكم قتلته ؟ أو مالٍ لكم استهلكته ؟ أو بقصاص جراحة ؟ ) و كلها أسباب شرعية تستدعي القصاص والقتل و السبي ، أراد بيانها للمتلقى زيادة في الحجاج والمبالغة في النصيحة .

وفي عبارة : ( هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين ) يتبادر إلى الذهن عدة أسئلة منها :

\_ هل القوم المخاطبين من الكفار على الحقيقة أو على سبيل المجاز؟

\_ هل المقصود بالظالمين الكافرون أنفسهم؟

\_ ما العلاقة السببية بين الظلم و الكفر؟ وسواها من التساؤلات التي تحتاج إلى إجابة عنها، وينبغي لنا أن نعرف المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظ (الكفر) فالكفر من أكثر الكلمات تواتراً في القرآن الكريم، وهي كلمة مشتقة من الجذر الثلاثي (ك.ف.ر) وأكثر ما ترد اشتقاقاً هذه الكلمة من هذا الجذر مثل: (الكافرون) و(الكفار) و(الذين كفروا)، وأصل الكفر من قولك: كفرت الشيء إذا غطيت، يقال ليل كافر؛ لأنه يستر بظلمته كل شيء، ومنه قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ

<sup>37</sup> ماير: هو احد منظري البلاغة المعاصر الذي أحدثت دراساته طفرة نوعية في تحليل الخطاب في مجال التواصل والإقناع.

( ينظر عندما نتواصل نغير ، د. عبد السلام عشير/ ١٩٤ ، أفريقيا الشرقية ٢٠٠٦ م

<sup>38</sup> نفسه ، ص/ ١٩٦

أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴿ الحديد/ ٢٠ يريد بالكفار الزراع، وسماهم كفارًا؛ لأنَّهم إذا القوا البذر في الأرض كفروه، أي غطوه وستره، فكان الكافر ساترًا للحق، وساترًا لنعم الله<sup>(39)</sup>.

وللكفر عدة معانٍ، اشملها وأشهرها جحود النعمة، وهذا المعنى الأكثر تداولًا في القرآن الكريم، وغالبًا ما ترد لفظة الكفر ومشتقاتها على وجه الإطلاق من دون ذكر متعلقاتها، فلا يحدد فاعلو الكفر ولا موضوع الكفر<sup>(40)</sup>، وهذه الصفات بحسب سياقاتها اللغوية وبحسب أسباب النزول صفات إما للمشركين من عرب مكة، وإما للنصارى واليهود وإما لغيرهم أو لهم جميعًا كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ آل عمران/٤، فصفة (الذين كفروا) تكمن طاقاتها الحجاجية فيما تؤديه ضمناً من معنى، هو معقد الخلاف ومناطه بين القرآن وخصومه من ( ودعوته إلى التوحيد والإيمان بالبعث والثواب والعقاب ﷺ للمشركين، وأنَّ النعمة التي نحن بصدددها هي رسالة محمد ( بالذين كفروا، مفتفياً حقيقة الرسالة المحمدية، على ﷺ وغير ذلك، فعلى هذا جاء وصف المخاطبين في خطبة الحسين ( أن الدلالة العامة لهذه العبارة من الناحية الإخبارية تقوم على قسمين:

الأول: منطوق، وهو معنى الكلمة، أي: ( جاحدو النعمة)

( انعم عليهم بالرسالة المحمدية والقسم الأخير يقدم - شأن ﷺ والآخر: مقتضى، أي أنه (انعم عليهم) وفي قول الحسين ( في تعريفه Kartunnen أي مقتضى- على أنه تحصيل الحاصل، فهو من الحقائق الثابتة التي ذهب إليها كارتونان للمقتضى، إذ إنك تقتضي شيئاً ما بصفتك المتكلم، تعد حقيقة ذلك الشيء على أنها مما لا مرأ فيه، و تقدر تلك الحقيقية هي في نظر المتلقي أيضاً مما لا جدال فيه<sup>(41)</sup>.

تتمثل عبارة (الذين كفروا) أو (الكافرين) بوصفها مسرّحاً لظهور المنطوق والمقتضى معاً، فهما لا ينفصلان، إذ منطوقهما لا يؤدي في الوقت نفسه تهمة من جهة المنطوق، وحقيقية من جهة المقتضى، إنهما اتهام في ضوء الحقيقية، ونفي التهمة أي (المنطوق) لا يمكن إلا أن يمرَّ عبر نفي الحقيقية (المقتضى) ولا يتأتى ذلك إلا بمهاجمة القائل نفسه ومناصبته العداء، إذ يقول ديكر: "إنَّ نفي المقتضى يسهم في تحويل الحوار إلى خصومة...، فمهاجمة مقتضيات الخصم لا (، إذ لم يكتفوا بنقض الإيمان بالرسالة ﷺ تكون إلا بمهاجمة الخصم نفسه " (42) وهذا ما رأينا من خصوم الإمام الحسين ( بصفته إمام زمانه، والحامل الشرعي لتلك ﷺ المحمدية، بل عمدوا إلى قتل حاملها، وهم عترته الطاهرة، لاسيما الحسين ( قوله بحق الحسن والحسين (عليهما السلام): (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا) . ﷺ الرسالة كما ورد عن النبي (

<sup>39</sup> - تفسير غريب القرآن ، عبد الله بن قتيبة ، تحقيق: احمد الصقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨ م ، ص / ٢٨  
- ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني ( ت/ ٤٦٥ هـ) تحقيق: نديم مرعشلي ، دار الكاتب العربي ،<sup>40</sup>  
مطبعة التقدم العربي ، ( ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م ) ، ص/ ٤٤٨

أما الظلم فهو " وضع الشيء غير موضعه، و منه قول النابغة:

والتَّوْبِيُّ كالحَوْضِ بالمَظْلُومَةِ الجِدِّ .

والمظلومة الأرض التي حُفِرَ فيها ولم تكن موضع حفر، سميت بذلك؛ لأنَّ الحفر وضع غير موضعه، فكأنَّ الظالم هو الذي أزال الحق عن جهته وأخذ ما ليس له " (43).

ويرى الراغب الأصفهاني أنَّ الظلم في القرآن على ثلاثة أنواع : ظلم بين الإنسان وبين الله، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، وظلم بينه وبين الناس، وظلم بينه وبين نفسه (44).

ويرى ابن عاشور أنَّ النوع الأول الأكثر شيوعاً في القرآن الكريم، إذ إنَّ كثيراً ما تأتي صفة ( الظالمين ) و ( الذين ظلموا ) في القرآن الكريم مقصود بها المشركين (45).

( بعداً للقوم الظالمين ) أنَّ صفة الظالمين هنا تقتضي وجود دائرة وقع فيها لئلا يمكننا أن نفهم قول الإمام الحسين ( الخروج عنها، هي نقطة الحق، فهذه صفة الكافرين، خصوم القرآن، تضعهم موضع الاتهام في ضوء حقيقة ضمنية، هي حقيقة وجود الحق، الذي ضيعه الظالمون، لهذا عرف ابن عاشور الظلم بقوله: " الظلم الاعتداء على حق صاحب الحق " (46)، وهو ما يقتضي وجود حق وصاحب حق ملازمين لصفة الظالمين (47).

( الذين مثلوا المتلقي في مسرح خطبته هم معتدون وظالمون؛ الآية ) ومن هنا نستنتج أنَّ القوم الذين قاتلوا الحسين ( لأنَّهم اعتدوا على الحق ( الرسالة المحمدية ) وعلى صاحب الحق وهو ( حامل الرسالة )، لذلك جاءت التراكيب بأسلوب الزجر من قبيل عبارات: ( تبا لكم ) و ( ويحكم ) و ( بعداً للقوم الظالمين )، تراكيب استمدت من الواقع الماضي، وما يختلته ذلك الواقع من تجارب إنسانية وأحداث تاريخية أو شخصية على نحو عبارات سياقية وحكم وأمثال وحكايات وكنايات... وسواها، وهي بمجملها مستمدة من الواقع أو مقتبسة من النصوص المعروفة ذات القيم الاجتماعية .

فعبارة ( تبا لكم ) و ( بعداً للقوم الظالمين ) عبارات مثلية، استعملت في القرآن الكريم والأدب العربي بكثرة، لذلك حظيت باهتمام الأفراد والجماعات؛ لأنها عبارات تستعمل داخل القول الحجاجي بما تقدمه من تصورات للأشياء والأحداث، وما تتضمنه من مشابهة يستدعيها سياق القول الحجاجي نظراً لما تحدثه هذه البنيات من تماثلات عامة، بينها وبين الأهداف

<sup>43</sup> تفسير غريب القرآن ، ابن قتيبة ، ص/ ٢٨ .

<sup>44</sup> المفردات ، ص/ ٣١٨ .

<sup>45</sup> ينظر: التحرير والتنوير ، ابن عاشور محمد الطاهر (ت/ ١٢٨٧ هـ)، الدار التونسية للنشر والدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام ، د.ت، ج/٩/١٠٣ .

<sup>46</sup> نفسه ، ج/٧/ ٣٣٢ .

<sup>47</sup> ينظر: الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية ، عبد الله صولة ، دار الفارابي ، ط٢ ، تونس، ٢٠٠٧م ، ص/

من إدراجها وسوقها، وهي بذلك تدخل في إطار التمثيل الحجاجي المستخدم في القياس الحجاجي الاضماري، شريطة أن ( " خط الخطيب يكون توظيفها في الحجاج حسب الخصائص المميزة لها، على وفق الضرورة السياقية أو المقامية، ففي قوله ) الموت على وُلد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف... "(48) فهذا النوع من التمثيل الحجاجي الرائع يمثل نوعاً من الاستدلال الذي يقوم بنقله نوعية من الجمع بين المشابهة والاستقراء من طريق الحدس، وهو وسيلة للتعبير عن الحقائق والقيم التي تختزل التجارب الإنسانية، كقيم رمزية تتمثل بالمسلمات القيمة التي تستجيب للقضايا المطروحة، بهدف تأسيس قاعدة خاصة تكون بمنزلة حالة مجردة تجعل المتلقي يستند في ضوئها إلى أطروحة معينة، يبتغيها مبدع النص، لتقوية درجة التصديق بقاعدة أو فكرة أو أطروحة معلومة، تقدم ما يوضح المعنى العام ويقوي حضوره في الذهن.

وقد أكد الزمخشري هذا المعنى بقوله: " إنَّ الأمثال هي زيادة في الكشف وتتميمًا للبيان، تضرب العرب الأمثال لإبراز جليات المعاني، ورفع الستار عن الحقائق، حتى تريك التخيل في صورة المحقق، والمتوهم في صورة المتيقن، والغائب كأنه مشاهد، وفيه تبيكيت للخصم "(49) ويكون الغرض من المثل " تصوير المعاني بصورة الأشخاص؛ لأنها اثبت في الأذهان؛ لاستعانة الذهن فيها بالحواس، ومن ثم كان الغرض بالمثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد "(50) .

#### المحور الرابع : وسائل حجاجية أخرى

أولاً: النموذج والنموذج المضاد : استعمل الإمام الحسين المبدأ الحجاجي (النموذج والنموذج المضاد) وسيلة عن حجة السلوك بوصفه قنوة تستوحى من الأشخاص أو الجماعات أو الأفكار أو المذاهب وتؤكد قيمة الأفعال، وذلك لميل طبيعي في الناس نحو الاقتداء بنموذج معين، إذ يعدُّ النموذج في القول الحجاجي مقدمات تستخلص منها معينة، ( أسلوباً في الحجاج، الذي يؤدي إلى امتداح سلوك خاص، يمتلك بعض مظاهر التميز، والنموذج الصالح الذي اعتمده ) يدفع به إلى فعل شيء مستوح من النموذج نفسه، لوجود سلوك عفوي للاقتداء به، فلا يخفى على المتلقي مغزى ( من وصيته لمحمد بن الحنفية، فإنه أراد الهتاف بغايته الكريمة من نهضته المقدسة، وتعريف الملائكة الحسين ) نفسه ونفسيته، ومبدأ أمره ومنتهاه، ولم يبرح يواصل هذا بأمثاله إلى حين شهادته، دحضاً لما كان الأمويون وحلفاؤهم يموهون على الناس به؛ تسويقاً لأعمالهم القاسية في استئصال آل الرسول، ولم يزل مسترسلاً في موافقه كافة حتى دحض تلك الأكذوبة، ونال أمنيته في مسيره إلى كربلاء .

<sup>٤٨</sup> اللهوف / ٣٣ .

<sup>٤٩</sup> الكشاف ، ج ١/ ٢٠٤

<sup>٥٠</sup> الاتقان في علوم القرآن ، ج ٢ / ٨٧

( تمثل بالرسول الأعظم ﷺ ولا يخفى على المتلقي أن النموذج الصالح والأسوة الحسنة في خطبة الحسين )  
( هذا النموذج ليسهم في تشكيل سلوكيات الأفراد والجماعات والأوساط ﷺ )، وبذلك استعمل الإمام الحسين (عليه السلام)  
والحقب وثقافتهم، انطلاقاً من الطريقة التي تصور هذا النموذج والكيفية التي تحقق بها ضماناً لقيمتها .

( الوصية في ذلك الحين إشارة إلى قضية اجتماعية مهمة، تظهر الحقيقة وتنبئ المستقبل ﷺ إن استعمال الحسين )  
للآخرين في ضوء قطع النزاعات وإيقاف التأويلات والاحتمالات التي تتولد من المطامع الشخصية واستهواات النفوس  
الأمارة بالسوء.

( النموذج المضاد أو ( مخالفة النموذج ) وسيلة حجاجية للإقناع، وتقنية ﷺ وقبالة النموذج استعمل الحسين )  
خطابية في التأثير، إذ يفقد النموذج الصالح النموذج المضاد قيمته وفاعليته، ويحوله في مجالات مقامية معينة إلى  
الهزل والسخرية... وسواها، وواقعة الطف مليئة بهذا اللون من المحاججة، فهذا عبد الله بن حوزة التميمي  
( هذا الحسين، فما تريد منه؟ قال: يا حسين ﷺ يصبح ثلاثاً في المعركة: أفيمك حسين؟ قال أحد أصحاب الحسين )  
أبشر بالنار، فقال الحسين: كذبت أقدم على ربِّ غفورٍ كريمٍ مطاعٍ شفيحٍ، فمن أنت؟ قال: أنا ابن حوزة. فرقع الحسين  
يديه نحو السماء حتى بان بياض إبطيه وقال: اللهم خُزْهُ إلى النار، فغضب ابن حوزة وأقحم الفرس إليه، وكان بينهما  
نهرٌ فسقط عنها، وعلقت قدمه بالركاب، وحالت به الفرس وانقطعت قدمه وساقه وفخذه، وبقي جانبه الآخر معلقاً  
بالركاب، وأخذت الفرس تضربُ به كلَّ حجرٍ وشجرٍ، وألقته في النار المشتعلة في الخندق، فاحترق بها ومات، فخر  
( ساجداً شاكراً حامداً على إجابة دعائه، ثم رفع صوته قائلاً: اللهم إنا أهل بيت نبيك وذريته وقرابته ﷺ الحسين )  
فأقحم من ظلمنا وغصبنا حقنا إنك سميع قريب. فقال له محمد بن الأشعث: أي قرابة بينك وبين محمد؟ فقال الحسين  
( اللهم إنَّ محمد بن الأشعث يقول ليس بيني وبين محمد قرابة، اللهم أرني فيه هذا اليوم ذلاً عاجلاً، فاستجاب ﷺ )  
الله دعاءه، فخرج محمد بن الأشعث من المعسكر ونزل عن فرسه لحاجته، وإذ يعقرب أسود يضربه ضربة تركته متلوثاً  
في ثيابه ممّا به<sup>(51)</sup> ومات بادي العورة .

ويتخذ النموذج المضاد شكلاً آخر في الحجاج، وذلك في ضوء التمايز وبيان الفروق في السلوك بين النموذج  
( لما عرض عليه الوليد البيعة، فقال: ﷺ والنموذج المضاد، في ضوء الموازنة بين صفات النموذجين، كما في قوله )  
" أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنّا يختم، ويزيد رجل فاسق شارب  
الخمير وقاتل النفس المحترمة معلى بالفسق ومثلي لا يبياع مثله " <sup>(52)</sup>.

وقد ينقل النموذج الصالح في بعض الأحيان فرداً من الأقصى إلى الأقصى، أي من الانحراف والضلال إلى  
الإيمان واليقين، وهذا ما حصل مع الحر بن يزيد الرياحي، الذي تأثر بالنموذج الصالح ومن ينسب إليه من طرفي  
( قليلاً قليلاً، فقال له المهاجر بن أوس: أتريد أن تحمل؟ فسكت وأخذته الرجفة، ﷺ النزاع، فأخذ يدنو من الحسين )

<sup>51</sup> ينظر: مقتل الحسين للخوارزمي ج ١/٢٤٩، فصل/١١، واقتصر الصدوق في أماليه على دعائه على محمد ابن الأشعث .

<sup>52</sup> ينظر: اللهوف لابن طاووس ٥٨، وآمالي الصدوق/ ٩٧ مجلس/٣٠، وروضة الواعظين/ ١٥٩

فارتاب المهاجر من هذا الحال وقال له: لو قيل من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك، فما الذي أراه منك؟ فقال الحر: أخير نفسي بين الجنة والنار، والله لا اختار على الجنة شيئاً ولو أحرقت، ثم ضرب جواده نحو الحسين منكساً رمحه، وقالياً ترسه، وقد طأطأ برأسه حياءً من آل الرسول بما أتى إليهم وججع بهم في هذا المكان، على غير ماء ولا كلاء، رافعاً صوته: " اللهم إليك أنيب، فتب عليّ، فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد نبيك: ( يا أبا عبد الله إني تائب، فهل لي ) : نعم يتوب الله عليك" (53)، فسره قوله، وتيقن الحياة الأبدية والنعيم الدائم. (الخطيب من توبة) فقال له الحسين )

( للتأثير في المتلقي الشاهد، ويعني التقنية (الخطيب) : من التقنيات الحجاجية التي استعملها (illus ration) الثاني : الشاهد ) التي تؤكد الأطروحة موضوع القول، أو الطريقة التي تقوي الاستدلال والحجاج، وذلك بإعطاء القول مظهرًا حيًا ملموسًا، إذ لا يتعلق الأمر بالدليل، بقدر ما يعمل الشاهد على تحريك المخيلة عند المتلقي، وهذه الطريقة لا تتعلق بالضرورة بحقيقة الشاهد، وإنما تتجاوز شكلها الخارجي الإطار اللغوي، ليرتبط بالمقتضيات التداولية (54).

إذا كان استعمال الشاهد يقوم على تجسيد الفكرة باستحضارها في صورة شاخص، فإن الغاية منه لا تكمن فقط في تعويض المجرى الملموس، وتبديل أو نقل الأطروحات من مجال إلى آخر - كما هو الشأن في المثل - وإنما تكمن أساسًا في الفكرة وتأكيد حضورها في الذهن. لهذا يخضع اختيار الشاهد لمعايير تقتضيها الشروط المقامية التي تجدها لها صدق شعوريًا وعاطفيًا عند المخاطب، فتقوم بدور المحرك لخياله، وتفرض عليه الانتباه، وتسهل عليه عملية الفهم (55)، إذ يفترض في المتكلم والمتلقي " أن يكون له معرفة سابقة بالشاهد المقصود، وقدرة على تصويره بيسر ودراية بوجود أثره في مجال التداول" (56).

ويستمد الشاهد طاقته من العيان والمشاهدة، ويقصد به " استشهاد على شيء ما بقرآن أو حديث أو شعر أو مثل أو خبر مروى بهدف إثباته أو إنكاره أو الاجتماع له أو بطلانه أو نحو ذلك" (57)، ومن الشواهد القرآنية التي حفلت بها (الخطيب): "إنّ وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين" وقوله (الخطيب) وأحاديثه قوله (الخطيب) خطب الإمام الحسين ) (الخطيب): " بعداً للقوم الظالمين " وكلها عبارات من نصوص قرآنية، اقتبسها (الخطيب) واتقوا الله لعلكم تفلحون" (58) وقوله (الخطيب) لتزيين خطبه وتقوية حججه على نحو شاهد قرآني.

<sup>٥٣</sup> - ينظر: اللهوف لابن طاووس ٥٨، وآمالى الصدوق / ٩٧ مجلس / ٣٠، وروضة الواعظين / ١٥٩.

<sup>٥٤</sup> - ينظر: عندما نتوصل نغير / ٩٣ .

<sup>٥٥</sup> - ينظر: نفسه / ٩٦ .

<sup>٥٦</sup> - في أصول الحوار وتجديد علم الكلام / ١١١ .

<sup>٥٧</sup> - البيان والتبيين ، الجاحظ ج / ٨٦ / ١ .

<sup>٥٨</sup> - ينظر: نفسه .

(بالحديث النبوي الشريف، إذ قال: " أولم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخيه: (هذان سيدا شباب أهل الجنة) واستشهد الإمام )  
(: (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا) " (60). (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ الْجَنَّةُ... (59) وقوله)

( بالخبر حين قال: " والله ما تعدت الكذب منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، ويضرب به من الجنة ) واستشهد الإمام )  
اختلقه، وإن كذبتوني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري وأبا سعيد الخدري  
وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم وانس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي، أما  
في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟! " (61).

طريقةً حاجبية تعلق قيمتها على (ANALCIE) التمثيل ( ) : استعمل الإمام الحسين (ANALCIE) ثالثاً : التمثيل  
مفهوم المشابهة المستهلك، إذ لا يرتبط التمثيل بمفهوم المشابهة وعلاقتها دائماً، بل يرتبط بمفهوم العلاقة بين أشياء  
ما كان لها أن تكون مترابطة أبداً، فهو بمنزلة العامل الأساسي في عملية الحجاج الموازن (المقارن) من دون أن  
تكون له علاقة المشابهة الصورية أو المنطق التمثيلي، إذ لا يطرح المتكلم معادلة صورية متكاملة، بل ينطلق من  
التجربة بهدف إفهام فكرة أو العمل على أن تكون الفكرة مقبولة، وذلك بنقلها من مجال إلى مجال آخر، مغاير تماماً،  
جريباً على مبدأ الاستعارة (62) . من الخصائص العامة للتمثيل ما يأتي (63):

١- يرتكز التمثيل على استدعاء صور تحكي أحداثاً سالفة من أجل نقل أفكار مرجعية ذات قيمة رمزية عبر آلية لغوية  
( في خطبته المذكورة آنفاً، فحينما ذكر بحمزة (سيد التركيبية)، كمفهوم الشهادة التي تطرق لها الإمام الحسين )  
الشهداء) وجعفر الطيار الذي قطعت يده في معركة موته، ودعا له رسول الله أن يكون له جناحان يطير بهما في  
( تلك الشهادتين المقرَّ بهما من رسول الله بالشهادة التي سوف عليه الجنة فلقب بالطيار. ومن ثم قرن الإمام )  
( . ( في معركة الطف، بإقرار منه (عليه السلام) )

والتمثيل هنا بمنزلة الشهادة ونوعيتها ومقامها حتى وصلت من الشرف درجةً ينطق بها رسول الله ويبيكي  
( من هذا التمثيل نقل أفكار مفهومية من واقع قد حصل وآمن عليه على أثرها قبل وقوعها (64)، فأراد الإمام الحسين )  
( ومن تمنى أن يكون عليه السلام المسلمون إلى واقع سوف يحصل، ذي قيمة رمزية يتوق لها أصحاب الحسين )  
معهم. فأصبح التمثيل هنا وسيلة حاجبية إقناعية، مبصرة لمن وقعت الغشاوة على بصيرته أو لم يدرك الفتح .

صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تقديم فضيلة الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، رقم: 59  
(. (3430).

٦٠ نفسه، رقم: (2662)

٦١ تاريخ الطبري/ج٢/٢٤٢، وتاريخ ابن عساکر/ج٤/٢٢٣

٦٢ ينظر: عندما نتوصل بغير ص/٩٨

٦٣ ينظر: نفسه، ص ٩٨-١٠١

٦٤ ينظر: مثير الأحران، ابن نما الحلبي، ص/٢١.

٢- تقوم العلاقة في التمثيل على مماثلةٍ تتحقق بين عناصر أو بنايات تنتمي إلى مجالات مختلفة، من هذه المجالات (مجال العقيدة) وعناصرها وبنياتها المترابطة في أصلي الرسالة والإمامة، و(مجال الهوية) الأسرية بين الحسين ورسول الله وأمير المؤمنين وحمزة وجعفر... و (مجال التكليف) فالحسين إمامٌ قام أو قعد، فهو سيد شباب أهل ( وغير ذلك من المجالات المترابطة. عليه السلام الجنة بنص النبي )

٣- يتجه التمثيل نحو مخيلة الإبداع، ويتجاوز اللغة وحدود الواقع، ويفهم من تحريك الذهن مما يتطلب معالجة دينامية ( في قوله: " أفتشكون فيّ أي ابن بنت نبيكم، فو الله ما بين المشرق والمغرب ابن عليه السلام وأبداعية، وهذا ما فعله ) بنت نبي غيري فيكم، أو في غيركم... " هذا الأسلوب الاستفهامي الممزوج بالإنكار والتعجب، حرك ذهن المتلقي ونقله من دار الفناء إلى دار السعادة السرمدية، كما حصل مع الحر بن يزيد الرياحي، وزاد من عقيدة أصحابه وأبنائه، وزرع عقيدة كثير من القوم الضالين، الذين وقعوا بين أحقية الحسين وبيان حجته و ضغط الولاة الظلمة ، فكانوا كما قيل: ( قلوبنا معك و سيوفنا عليك ) .

والجدير بالذكر أنّ انتقال الكلام من الخصوص إلى العموم في عبارة: (أو في غيركم) بالقرينة اللفظية عضد قرينة ( عليه السلام النداء (أيها الناس)، فنقله من الحيز المحدود إلى العالم الرحب، ليشمل الحجاج هنا الناس كافة، فأصبحت كلمته ( ذات صبغة عالمية شاملة.

يستمد التمثيل قوته وشدته هنا من تفكيك الأجزاء الدقيقة لمكوني التمثيل (الموضوع والحامل)، واستعمال الخيال للربط بينهما، فمشابهة الإمام الحسين عليه السلام والمبادئ السامية في قبالة علاقة يزيد بالمواقف و السلوكيات المنحرفة، ممّا جعل العلاقة التقابلية في ذروتها بين الحسين عليه السلام و يزيد، تبعاً للمرجعية العقيدية المتقابلة بين الاثنين.

ومن الملاحظ في الخطبة المذكورة أنّها خلوها من المجاز تماماً، وربما أنّ القول الحجاجي هنا لا يوظف المجاز حتى لا يخلق صوراً متعددة للقول الحجاجي نفسه، قد تتباين من متلقٍ إلى آخر، تزيد من الاحتمالات والتأويلات، مع أننا نرى الإمام عليه السلام قد استعمل المجاز في مواطن آخر من الواقعة، كتقنية حجاجية ووسيلة إقناعية في التأثير والاستمالة، و كما يقول (ماير) بأنّ الحجاج صبغة من صيغ الاستدلال، تتباين معه الأدوار<sup>(٦٥)</sup>، إذ ليس للحجاج من طريق إلا استغلال ما في اللغة من ثراءٍ وغنى، و ربما يعود سبب ذلك إلى أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يستعمل المجاز في المواقف التي لا تحتل إلا الحقيقة؛ زيادةً في التأكيد والمبالغة في الاستدلال والحجاج؛ لأنّ ما استدل به عليه السلام في خطبته المقصودة لم يمض وقت طويل على تحقق وقوعه . أما المواطن التي استعمل فيها المجاز فكانت عبر آليات وظانفية متنوعة، منها :

أولاً- ما يتعلق بالسامع : إنّ القول المجازي المبني أساساً على التخيل هو الذي يجمع بين معاني الأفكار والتصورات والمفاهيم، انطلاقاً من عمليات ذهنية تقوم على الفهم والتأويل، ففي قوله عليه السلام: " من لحق بنا منكم

استشهد، ومن لم يلحق بنا لم يبلغ الفتح " (٦٦) فإنه (عليه السلام) لم يرد بالفتح معناه الحقيقي وإنما أراد ما يترتب مجازاً على نهضته وتضحيته من نقض دعائم الضلال وكسح أشواك الباطل عن صراط الشريعة المطهرة، وهذا معنى كلمة الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) لإبراهيم بن طلحة بن عبيد الله لما قال له حين رجوعه إلى المدينة من الغالب؟ فقال السجاد (عليه السلام): " إذ دخل وقت الصلاة فأذن وأقم تعرف الغالب " (٦٧). إن هذه الوظيفة حركت خيال المتلقي واستدرجته بنحو غير مباشر إلى حقل المتكلم، وأثارت انتباهه لما قال (عليه السلام) وما أراد الوصول إليه، ومن ثم دمجت المتلقي في التفاعل الذي نشده الحجاج الحسيني كما قال (عليه السلام): " إلهي إن حبست عنا النصر فاجعله لما هو خير منه وانتقم لنا من الظالمين " (٦٨).

ثانياً- التزيين والتكثيف: وهما خصيصتان مرتبطتان بكلّ الخطابات التي توظف المجاز، إذ يقوم المجاز بتزيين القول وتجميله بالصور اللامعة والجزابة لفظاً ومعنى، قال (عليه السلام): " خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جند الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، وكأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلاة بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني اكراشاً جوفاً واجربة سغباً، لامحيص عن يوم خط بالقلم... " (٦٩).

إنّ تكثيف القول بإيراد بعض الصور المجازية في النصّ أعطاه وظيفة التزيين، مُشكّلةً بذلك قوة في المعنى والبيان، وهذه الوظيفة تعطي المتكلم قوة في مواقفه وأطروحاته يوصلها إلى ذهن المتلقي، فنجد تكثيف الصور المجازية مثل: (مخط القلادة على جند الفتاة) و(اشتياق يعقوب إلى يوسف) و(كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلاة بين النواويس وكربلاء) و(فيملأن مني اكراشاً جوفاً واجربة سغباً) هذا التكثيف المجازي زين النصّ وأعطاه جمالاً، مرغياً بالموت في سبيل الله مع صفوة أهل بيت النبوة، ونستطيع أن نسمي هذه الوظيفة بـ(تحسين الموقف الحجاجي وتزيينه).

ثالثاً- ما يتعلق بالمقام: يستعمل المجاز في الحجاج لتوليد صور إبداعية جديدة في محيط القول، انطلاقاً من نسيج المعطيات الوحوش الواقعية بطريقة إبداعية، مما يجعل هذه الصور محط اهتمام، فقلوه: (عليه السلام) (عسلان الفلاة) تعني لغة البرية، وهنا صورة مجازية للوحوش البشرية التي قتلت الحسين (عليه السلام) ومثلت به شرّ تمثيل . يُعدّ الخطاب الوسيلة التي يسبر بها حامله أعماق الإنسان ليعمل على تعديل بعض محركات الانطلاق والتحدي الحضاريّ فيه للوصول إلى غاية التحرك ومنطلق الحياة... هكذا بدأت التحولات التاريخية الكبرى في نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) التي غيرت مجرى التاريخ، وقادت البشرية نحو الإصلاح، لما لهذه النهضة من ملمح متميز من عمليات النهوض كافة في التاريخ البشري، ويكفي أنّها هي التي صنعت التاريخ ولم يصنعها التاريخ، فأصبحت نهضته (عليه السلام) شعلة من نور، يهتدي بها السائرون على الطريق القويم .

<sup>٦٦</sup> كامل الزيارات ، لابن قولويه(ت/٣٦٧هـ) ، ص/٧٥ .

<sup>٦٧</sup> آمالي الشيخ الطوسي/٦٠ .

<sup>٦٨</sup> مثير الأحران، ابن نما/٢٦، ومقتل الخوارزمي، ج ٢/٢٢ .

<sup>٦٩</sup> اللهوف/ ٣٣، ومثير الأحران/ ٢٠ .

## نتائج البحث

١- تميز الخطاب الحسيني بوضوح التعبير لفتح مغاليق عقول المتلقين وسماع كلماته (عليه السلام)، فاهتدى من اهتدى وضل من ضل، عبر مراحل من الزمن؛ لأن لغة المجتمع هي الأقرب إلى قلبه وعقله، وإن أي تجاوز عن تلك اللغة من قبله يُعد خروجًا عن دائرة التأثير، سواء كانت تلك اللغة تتعلق بالأسلوب الكلامي علوًا أم نزولًا، من جهة كونه نوعًا معرفيًا أو موضوعيًا أو سياسيًا أو ما إلى ذلك، مما يُعد لغة واضحة في التفهيم والتواصل مع الطرف المتلقي .

٢- استعمل الإمام (عليه السلام) أسلوب الحجاج الدال على البرهان والاستدلال من جهة، وعلى معادلة لا جبر ولا تفويض من جهة أخرى، فقد أوضح (عليه السلام) أهداف ثورته وغايته منها، وهو أسلوب انمازت به خطبه وكلماتها، إذ لم يمارس الإمام (عليه السلام) سلطته الشرعية على المتلقي، وكأنه يخاطب المجتمعات الديمقراطية الحديثة، إذ لم تعتمد خطبته (عليه السلام) على الإكراه بالدرجة الأولى، بل على الإقناع والتأثير اللذين باتا من العناصر الحاسمة في إيصال الخطاب لفئات المجتمع كافة، وهو نوع من السياسات اللغوية التي امتاز بها الخطاب الحسيني ، إذ لا شك أن فكرة الهيمنة عبر آلية الإقناع تحقق إجماعًا مع التعدد الشكلي والعقدي داخل المجتمع، وهو ما يعرف في اللسانيات الحديثة بـ(الهيمنة الناعمة).

٣- تقترب نظرية ماير (المساءلة والبلاغة) من مضامين خطب الإمام (عليه السلام)، إذ استطاع (ماير) اعتمادًا على منطلقات فكرية معرفية، ومرتكزات أساسية فلسفية أن يؤسس منهجًا تساوليًا يقوم على مبدئين هما : المبدأ الافتراضي في تحليل الأقوال ومبدأ الاختلاف الإشكالي داخل الأقوال، وتنطبق تلك المنطلقات الفكرية عند الإمام (عليه السلام) على ما يسميه السكاكي بـ(الأسلوب الحكيم) ويعني أن ينزل سؤال السائل منزلة سؤال غير سؤاليه، أو ما يسميه ابن أبي الأصعب بمصطلح (التلغيف) .

٤- استعمل الإمام (عليه السلام) المبدأ الحجاجي (النموذج والنموذج المضاد) وسيلة عن حجة السلوك، بوصفه قذوة تستوحى من الأشخاص أو الجماعات أو الأفكار أو المذاهب، وتؤكد قيمة الأفعال، وذلك لميل طبيعي في الناس نحو الاقتداء بنموذج معين .

٥- ومن التقنيات الحجاجية التي استعملها (عليه السلام) للتأثير في المتلقي الشاهد Illusration ويعني التقنية التي تؤكد الأطروحة موضوع القول، أو الطريقة التي تقوي الاستدلال والحجاج، وذلك بإعطاء القول مظهرًا حيًا ملموسًا، إذ لا يتعلق الأمر بالدليل، بقدر ما يعمل الشاهد على تحريك المخيلة عند المتلقي.

٦- استعمل الإمام الحسين (عليه السلام) التمثيل ANALCIE طريقة حجاجية تعلق قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك، إذ لا يرتبط التمثيل بمفهوم المشابهة وعلاقتها دائمًا، بل يرتبط بمفهوم العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة أبدًا، فهو بمنزلة العامل الأساسي في عملية الحجاج الموازن (المقارن) من دون أن تكون له علاقة المشابهة الصورية أو المنطق التمثيلي .

٧- لم يكن الخطاب الحسيني بمعزل عن التعدد القومي والعقائدي لفصائل المجتمع في إطار الوحدة الإسلامية العربية، فقد كان (عليه السلام) يوجه خطابه للناس كافة من دون إلغاء الخصوصيات الموضوعية التي كانت سائدة في المجتمع، ونلاحظ ذلك في أسلوب النداء: (أيها الناس) وعبارة: (ما بين المشرق والمغرب) وعبارة: (أو في غيركم).... وسواها .

٨- استعمل الإمام(عليه السلام) (لغة الهوية) وسيلةً من وسائل الحجاج التي انتهجها في إظهار الفرق بين المتكلم والمتلقين، إذ لم تكن هوية الإمام الحسين(عليه السلام) مجموعة متغايرة، تعطي وتؤخذ من طرفها، بل كان في صيرورة واحدة ومستمرة مدى الحياة، فهي هوية مدمجة لغويًا (Language Embedded Identities)، لأنها تعتمد على أدوات رمزية صارمة، مما يدلُّ على أنَّ اللغة سلوك خارجيَّ تسمح للمتكلم من طريق هذا السلوك أن يعين نفسه عضوًا في مجموعة معينة

٩- لو تأملنا الجانب السياسي في خطب الإمام(عليه السلام) بمجملها لم نجد الحرب هدفًا عنده، إنما الاجتماع والتعاون والتعايش السلمي هو الهدف، والدفاع عن الدين وشرعيته ليست دعوة إلى الحرب وتأجيج نارها، إنما هي إصلاح واقع الهيكل الاجتماعي، وتطبيق الشريعة، ورسم الصورة للمسيرة البشرية في حياتها .

١٠- شكّل الصراع الأيدلوجي بين مُبدع النصِّ ومتلقيه مفاهيم الذات في المسرح الاجتماعي، إذ مثَّل هذا الصراع جوهر القضية، بتراكيب لغوية تسعى الأيدلوجيات المتصارعة إلى سدِّ الفجوة بين الإدراك الاجتماعي والإدراك الشخصي، فالحسين أمةٌ كاملةٌ وإن كان شخصًا واحدًا، فقد تحدث بالضمير الجمعي لفئة الموحدين والمصلحين مستعملًا فن الخطابة وسيلة إعلامية؛ لأنها الوسيلة الأنجع للتعبير الموضوعي عن عقيدة الفئة المؤمنة واتجاهاتها، وما يترتب عنها من تشكيل ثقافي واع .

١١- استعمل الإمام(عليه السلام) وسائل إقناع (إبلاغية وإمناعية) للتأثير في المتلقي، من قبيل استعمال التراكيب النحوية المتداولة، والأسلوبية، والتوظيفية، والأمثال القصصية، والعبارات السياقية، والأعراف والتقاليد، والمُحرَّم اللغوي، وتوظيف التاريخ، واستعمال الألفاظ الصحراوية ذات المضامين المشتركة بين الموقفين، واستعمال المعجم الديني الحجاجي، واستعمال الخطاب المتعدد الأبعاد... وغير ذلك .

١٢- أحدث الإمام(عليه السلام) تأثيرًا في المستمع المقصود، فعلى مستوى التعبير بلغت خطبته الذروة في البيان، تمثلت بتشكيل سلسلة من الأصوات اللغوية، لها نظام معلوم وثابت، وكذلك على مستوى الانجاز وعلى مستوى الإجابة، باستعمال المسار الحجاجي المؤثر والناجح على وفق الطرح الإشكالي والنتيجة . والحمد لله رب العالمين

## المصادر والمراجع

- الإِتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤م.
- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، تأسيس "نحو النص" ، محمد الشاوش ، المؤسسة العربية للتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠١م .
- الآمالي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، دار الثقافة . قم المقدسة ، ١٤١٤هـ .
- الآمالي، لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ الملقب بالصدوق (ت/٣٨١هـ)، منشورات الأعلميّ ، بيروت لبنان ، ط/٥ ، ١٩٨٠م .
- بديع القرآن ، زكي الدين ابن أبي الإصبع (٥٨٥هـ - ٦٥٤هـ) تحقيق وتقديم : حقي محمد شرف ، مكتبة نهضة مصر، ط٧ (١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م).
- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي(ت/٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٢م .
- البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ(٢٥٥هـ) ، تحقيق: د.حسن السندويّ ، المطبعة التجارية الكبرى ، ط١ ، ١٩٢٦م .
- تاريخ الأمم والملوك ، الطبري ، الأعلميّ ، بيروت .
- تاريخ دمشق ، لابن عساكر (علي بن الحسين /ت٥٧١هـ) ، تحقيق :علي شيري ، دار الفكر، بيروت ، ١٤١٥هـ .
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور(ت/١٢٨٧هـ) ، الدار التونسية للنشر، تونس ، ١٩٨٤م .
- تفسير غريب القرآن ، ابن قتيبة الدينوري، (ت/٢٧٦هـ) تحقيق السيد احمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية ، عبد الله صولة ، دار الفارابي ، ط٢ ، تونس، ٢٠٠٧م .
- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني(ت /٣٩٢هـ) تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١٢ ، ١٩٩٠م .
- دليل السوسولوجيا ، أندريه تابوري - كيلر، تحرير: فلوريان كولماس ، ترجمة: د. خالد الأشهب ود. ماجدولين النهيي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩م .
- روضة الواعظين ، محمد النيسابوريّ القتال (ت/٥٠٨هـ) بيروت ، لبنان ، ب.ت .

- زهر الآداب للحصريّ ، دار الكتب العربية ، ١٣٧٢ هـ .
- صحيح البخاريّ ، محمد بن إسماعيل البخاريّ ، تقديم فضيلة الشيخ أحمد محمد شاكر ، دار الجيل ، بيروت ، (د.ت).
- علم اللغة الاجتماعيّ - المدخل، د.كمال محمد بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط١.
- عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، دكتور عبد السلام عشير ، أفريقيا الشرق .
- عوالم العلوم ، المحدث عبد الله نور الله البحرانيّ ، قم - إيران ، ب.ت .
- الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن ، ابن قيم الجوزية ، بأشراف: لجنة تحقيق التراث ، مكتبة الهلال ، بيروت ، د.ت .
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافيّ الغربيّ، الدار البيضاء . ط/٢ ، ٢٠٠٠ م.
- كامل الزيارات ، لابن قولويه (ت/٣٦٧هـ)
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشريّ(ت/٥٣٨هـ) الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .
- اللغة والمجتمع ، علي عبد الواحد وافي ، دار النهضة مصر للطباعة والنشر ، ١٩٧١ م .
- اللغة ، فندريس ، ترجمة: الدوخليّ والقصاص ، القاهرة ، ١٩٥٠ م .
- اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن محمد الملقب بابن طاووس(ت/٦٦٤هـ) مطبعة الحيدريّ ، النجف ب.ت .
- مثير الأحزان ، ابن نما الحلّيّ (ت/٦٤٥هـ) قم - إيران ، ب.ت .
- المجتمع والتاريخ ، الشهيد مرتضى مطهريّ ، منشورات دار الزهراء قم ، ط/١ ، ١٤٢٧ هـ .
- المصباح المنير، احمد بن محمد بن علي الفيوميّ المقرئ(ت/٧٧٠هـ)، دار الحديث، ط١، ١٤٢٤هـ-١-٢٠٠٣ م .
- معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري(ت /٣٩٥هـ) مؤسسة النشر الإسلاميّ ، قم ط٢ .
- معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، الراغب الأصفهانيّ (ت ٤٦٥ هـ) تحقيق : نديم مرعشلي، دار الكاتب العربيّ ، مطبعة التقدم العربيّ ، ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م .
- مفاتيح العلوم ، أبو يعقوب السكاكي(ت/٦٢٦هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣ م .
- مقتل الحسين، أبو المؤيد الموقف بن حمد المكيّ الملقب بالخوارزمي (ت/٥٦٨هـ) النجف، ب.ت .
- منة المنان في الدفاع عن القرآن، السيد محمد صادق الصدر(ت/١٩٩٩م) دار النجوى، بيروت، ب.ت .
- موسوعة مقتل الإمام الحسين (ع)، السيد محمد حسين المقرّم (ت/١٩٧١م)، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، ط/١، بيروت، (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م) .
- النحو العربيّ والدرس الحديث، د. عبده الراجحيّ، دار النهضة العربية، ١٩٨٩ م .
- نهج البلاغة ، منتدى الإيمان ، مركز الإشعاع الإسلاميّ ، شبكة الانترنت .

## المصادر الأجنبية

1-Teum A. van Kdijk Dislourse swmantics and Ideology Discourse

society vol.6 No.2 1995.

2-Perelman at tyteca , Traite de L`argument tation, op.cit

3- Enouces performatifs, pre'suppsition,op.cit\_\_\_\_\_

[www.oxpdf.com](http://www.oxpdf.com)